

أثر الزيارة الأربعينية في ترسيخ القيم الدينية وتحقيق التعايش السلمي

أ.د. برزان ميسر حامد الحميد
كلية التربية للعلوم الأنسانية - جامعة الموصل
dr.barzan_78@yahoo.com

ملخص البحث

لقد جاءت زيارة الأربعين لتُعبّر عن نصرّة المبادئ والقيم التي ضحّى من أجلها الأمام الحسين (عليه السلام)، فهي زيارة لها دلالاتها وآثارها الروحية والمعنوية العظيمة، توضح مكانة وعظمة وفضل الإمام الحسين. ومن أهداف هذه الزيارة الطيبة المباركة أنها تحقق نشر ثقافة التعايش والسلام والحوار وتقبل الآخر، والوقوف ضد كل ما يمكن أن يؤدي إلى تصدع المجتمع وزعزعة أمنه ووحدته، وتُرسخ القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية الإسلامية، فهذه الأعداد الغفيرة التي تأتي من كل صوب وحذب تمنح الأعلام فرصة كبيرة كي يؤدي دوره على نحو أفضل، وأكثر دقة وتأثيراً، إذ يأتي الزائرون الكرام من جميع أصقاع العالم، لإحياء مراسم الزيارة، وعلى المعنيين استثمار هذا التجمع المليونى، لبث إيصال الرسائل المعتدلة، ونشر ثقافة السلام والتعايش السلمى، وترسيخ مجموعة القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية التي تستند إلى الإسلام الحقيقي المعتدل، وتوجيهها إلى العالم، الذي أنهكته روح الكراهية، وموجات العنف.

ومن القيم الدينية التي تعززها زيارة الأربعين هي « خدمة المؤمنين » ، حيث تتسابق العشائر العراقية والعراقيون إلى خدمة زوار الحسين في مظهر فريد من نوعه على أرجاء المعمورة كلها، ليس في الطعام والشراب وحسب، بل في كثير من الخدمات مثل المبيت، والدواء، والاسعافات والتدليك، واستخدام السيارات للنقل مجاناً عند كثيرين، إلى غيرها من أنواع الخدمات التي يقدمها الأفراد والمواكب للمؤمنين زوار الحسين (عليه السلام). وأهم من كل ذلك إظهار الحبّ والشوق والتوقير والتعظيم في خدمتهم للزوار وهذا مما تنفرد به هذه البقعة المباركة وخدمتها في مشهد ينذر تكراره في كثير من بلدان العالم.

الكلمات المفتاحية: الزيارة الأربعينية، القيم الدينية، التعايش السلمى، تقبل الآخر.

The impact of the Arbaeen visit on consolidating religious values and achieving peaceful coexistence

Prof. Dr.Barzan moyasir hamid alhameed

College of Education for Human SciencesUniversity of Mosul

Abstract :

The visit of Imam Hussein expresses the victory of the values, principles, and goals for which he was martyred, may God's peace be upon him. It is a visit that has great spiritual and moral implications and effects, and highlights an important aspect of the manifestations of the greatness, status, and virtue of Imam Hussein. One of the goals of this good and blessed visit is to achieve the dissemination of a culture of coexistence, peace, dialogue, and acceptance of others, and to stand against everything that could lead to a fracture in society and destabilize its security and unity, and to consolidate moral values and Islamic religious principles. These large numbers that come from all sides give the media a great opportunity to perform their role in a better, more precise and influential way, as distinguished visitors come from all parts of the world to commemorate the visitation ceremonies, and those concerned must invest in this gathering of millions, to broadcast and deliver moderate messages, and to spread the word. A culture of peace and peaceful coexistence, and consolidating a set of religious and moral values and principles that are based on true, moderate Islam, and directing them to a world exhausted by the spirit of hatred and waves of violence.

Keywords: the fortieth visit, religious values, peaceful coexistence, acceptance of others.

مقدمة :

تُعد الزيارة الأربعينية من المناسبات الدينية، والاجتماعية، التي تُمارس طقوسها في العشرين من شهر صفر الخير من كل عام هجري، إذ حظيت هذه الزيارة باهتمام بالغ على مدى تأريخها الطويل لما فيها من دلالات ومعانٍ كبيرة في نفوس المسلمين عامةً ، وأبناء الشعب العراقي خاصة، كونها جسدت مجموعة من القيم الدينية والصور الإنسانية كاشاعة التعايش السلمي بين الزائرين بمختلف ثقافتهم وانتماءاتهم الفكرية ، ومدى التلاحم الثقافي والمجتمعي ، ونكران الذات ، والتسابق في تقديم الخدمات لدى مختلف شرائح (مجتمع الأربعين) حتى أضحت هذه الزيارة هوية ثقافية وحضارية لشعبنا العراقي المعطاء .

ومما لا شك فيه أنّ زيارة أربعينية الأمام الحسين تُسهم بشكل كبير وفاعل في التكافل الاجتماعي، والالتقاء الحضاري، والتلاقح الفكري ، فضلاً عن القيم الدينية السامية والمعاني الروحية والنشاطات الايجابية والنفحات النورانية التي تحملها هذه الشعيرة مما تساعد على توفر فرصة للقاء مختلف الحضارات الشرقية منها والغربية، بما يضمن أو يكفل لكل زائر أو صاحب موكب أن يخرج بحصيلة معرفية متنوعة المصادر، ففيها تجد مختلف المذاهب والأديان والاتجاهات الفكرية في حالة من التوائم والتسامح والتعايش السلمي الذي يسوده المحبة والتوأم، بما يكفل تحقيق الثمرة المطلوبة ، إن تم إدارتها ورعايتها بالشكل المطلوب .

أهمية الدراسة

وتكمن في الوقوف عند الدور الذي تؤديه زيارة أربعينية الأمام الحسين (عليه السلام) في تعزيز وتنمية القيم الدينية وتحقيق التعايش السلمي بين أبناء الشعب العراقي كافة.

هدف الدراسة

توضيح إسهام الزيارة الأربعينية في ترسيخ المبادئ والأهداف التي من أجلها ضحّى بنفسه الأمام الحسين (عليه السلام)، فضلاً عن ترسيخ القيم الدينية والفكرية ونشر ثقافة التعايش والسلام والحوار وتقبل الآخر.

مشكلة الدراسة :

ويمكن تناولها في طرح التساؤلات التالية :

إلى أي حد ساهمت الزيارة الأربعينية في تنمية القيم الدينية والأخلاقية في نفوس زوار الأمام الحسين (عليه السلام)؟

ما هو مدى تأثير الزيارة المباركة في تحقيق ثقافة التعايش السلمي بين المسلمين عامة وأبناء الشعب العراقي على وجه الخصوص؟

منهج الدراسة

ومن خلاله نوضح المسار العلمي الذي اخترناه في الكتابة، إذ اعتمدنا المنهج الوصفي الاستقرائي من أجل تحقيق الأهداف المرسومة فضلاً عن اللجوء في كثير من المرات إلى اعتماد المنهج الاستنباطي من أجل الوصول إلى المعلومات المرجوة.

القيم والسمات الإسلامية في زيارة الأربعين

إنّ مراسم الأربعينية الحسينية هي اجتماع تخلو فيه المعصية وتسمو فيه الفضيلة لأنّ الناس المشاركين جميعاً قد خيم على نفوسهم الحزن متناسين بذلك كل الغرائز الحيوانية وحب الدنيا وملذاتها في نفوسهم الكسيرة متجهين نحو مدرسة كربلاء معلّمهم الحقيقي

هو الإمام الحسين (عليه السلام) ومنهاجهم فيها القرآن وعملهم العبادة.

أما المعيار الحقيقي لارتباط المجتمع مع الشعائر والنجاح في تلك المدرسة هو التقوى، وأهمية هذا المبدأ تتمثل في كونه معياراً تختلف فاعليته تماماً عن سائر المعايير الأخرى، فما دام هدف الإنسان عبادياً هو توصيل المبادئ للآخرين وممارسة الأدوار فيه من خلال المنبر الحسيني أو من خلال العزاء بشكل جماعي حينئذ فإن القيمة الفردية تتجسد في مدى الالتزام بالمبادئ التي تحملها الشعائر الحسينية وهي مبادئ قائمة على أساس التعاون في المستوى الاجتماعي وعلى الالتزام بالأوامر والنواهي في المستوى الفردي والجماعي للمشاركين في تلك الشعائر الحسينية (موقع قناة العالم <https://www.alalam.ir/news/3851086>)

والأهم في ذلك هو أن المعيار متاح لجميع الأفراد مهما ضؤل مستواهم العقلي والفكري أو الثقافي أو الاجتماعي... الخ أن يتمتع بتلك الدرجة من التقوى، ومن خلال تلك الشعائر تبرز سمات وطاقات جلييلة يحتاجها المجتمع حتى يتكامل.

ومن تلك القيم والسمات: هو التنافس الذي يحصل بين الأفراد المشتركين في مواكب العزاء أو في خدمة المعزين من خلال توفير جميع المستلزمات التي يحتاجها المشارك، أو من خلال خدمة قضية الإمام الحسين (عليه السلام) في المشاركة في إلقاء المحاضرات أو القصائد الشعرية أو كتابتها أو أبدال الطعام والشراب أو المال وما شابه ذلك من أعمال تصب في خدمة القضية وصاحبها.

والتنافس هو عمل فردي أو جماعي يقام به على أفضل وجه، أي كل فرد أو مجموعة تتنافس مع مجموعة أخرى لتقديم أفضل الخدمات للمشاركين ومثال ذلك ما يحصل بين خدمة المساجد والحسينيات والمواكب للمشاركين من أعلى درجات الخدمة أو ما يحصل من تفاعل بين المواكب أثناء اجتماعها بالساحات العامة أو الحسينيات والمساجد في تقديم

أفضل ما عندها من أعمال أو مشاركات بين أفرادها أثناء المراسم أو من خلال أداء الخطباء أفضل ما عندهم للتأثير في المتلقين من الحضور حتى يتفاعلوا مع القضية.

والكل يبحث عن أفضل ما عنده حتى الذين يقومون على خدمة المشاركين في المواكب أو الجالسين في المآتم للاستماع تراهم يتنافسون في تقديم الأفضل للناس خدمة للإمام الحسين (عليه السلام) والحصول على أعلى الدرجات من الثواب الجزيل من عند الله تعالى.

لأن تلك الشعائر هي شعائر الله ونصرتها والعمل بها هو نصرة له سبحانه وطاعة لأوامره ما دام ذلك الفعل من أفعال الخير وتهدف إلى تحقيق العمل العبادي الذي أمر به.

أما السمة الدينية الاجتماعية الأخرى التي تبرزها الشعائر الحسينية في أربعينيتها فهي سمة التعاون. وهذه السمة تكون على وفق التوجيه القرآني القائل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

إن هذه التوصية تلخص مفهوم (التعاون) في معيار الخير والصلاح في بناء المجتمع، وترسم الخط الصحيح للتعاون لذلك ترى هذا المفهوم وبصورة صحيحة متبلوراً في أيام عاشوراء من خلال العمل الجماعي المشترك أو في إنجاز الأعمال التي تحتاج إلى عمل مشترك وتقديم المساعدات المادية للمساجد أو الحسينيات أو لبعض الأشخاص أو المعوزين، معيارهم في كل الأعمال هو التقوى الذي اشترطته الآية الكريمة ﴿إِنَّهَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ في تحقيق مبدأ التعاون حيث لا يمكن أن يتم تعاون على البر دون أن تصحبه التقوى التي تعني الحرص على أداء الفعل وفق المبادئ التي حددتها الشريعة (كالمساعدة بلا من).

ويقترن مفهوم التعاون بجملة من الممارسات التي تشدد التوصيات الإسلامية والتي أشرنا إليها سابقاً مثل التعاون في قضاء حاجات الناس من خلال المساعدات التي تقدم إلى المساجد والحسينيات والمآتم والمواكب في أيام الأربعينية من استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).

والسمة الدينية الاجتماعية الأخرى التي تتسم بها الشعائر الحسينية في هذه الأيام، هي ذوبان التفاوت الطبقي في ذلك المجتمع المشارك فيها أي أنك عندما تجالس ذلك الجمع الكبير في أماكن العزاء والإطلاع على تفاصيل حياتهم العلمية والمادية والاجتماعية أو حتى المركز المتقدم في دوائر الدولة (موقع قناة العالم [HTTPS://WWW.ALALAM.IR/](https://www.alalam.ir/news/3851086)).

تري أن المجلس يحظى بحضور كافة طبقات المجتمع العالمي بغض النظر عن قوميته ولون بشرته وحتى دينه ومذهبه، فلا يوجد ما يميز طبقة عن الأخرى كلها تذوب أمام القضية التي تجمعهم لأنها تخصهم جميعاً ويشتركون في إحيائها وكل فرد منهم يحس بالمسؤولية الفردية للمشاركة مع الجماعة في إحياء تلك الشعائر.

لذلك ترى الشيوخ والشباب وحتى الأطفال والنساء جميعاً يشتركون فيها ويتكون أعمالهم الدنيوية التي تشغلهم عن تأدية ذلك الواجب المقدس وهذه درجة رفيعة المستوى في نكران الذات الإنسانية والملذات الدنيوية والإحساس بروح عالية بالعمل الجماعي المشترك مما يترك أثره في الشارع الإسلامي على كافة الأصعدة وبكل مجالات الحياة اليومية للأفراد وخاصة في بناء روح المساواة بينهم وعدم الشعور بالتفاوت الطبقي الذي تسبب بكثير من الأمراض الاجتماعية.

وهكذا تتواصل النفحات القدسية من فيض بركات الرب العزيز على المشاركين في الأربعينية الحسينية واحدة تلو الأخرى لترسم مستقبل الأمة الوضاء وتطرزه بقناديل النور

القرآني حتى تضيء دروب العالم من بعد ظلمة سادتها في العصور السالفة التي انتشر فيها الظلم والتعسف حتى تصل إلى سمة أخرى لتستكمل المنهاج والتي تشترك مع مثيلاتها في بناء الإطار الاجتماعي العام لأفراد المجتمع المسلم الذي أراد الله تعالى ألا وهي سمة (التكيف) (موقع قناة العالم [HTTPS://WWW.ALALAM.IR/NEWS/3851086](https://www.alalam.ir/news/3851086)).

ويمكن أن نعرفه بأنه تمرين الشخصية وترويضها على تقبل الآخر بشراً كان أو موقفاً، أي إحداث العلاقة المرنة أو معايشة مفهوم (الألفة).

وإذا كان التعاون يُشكل عملية اجتماعية خاصة بين المؤمنين في اشتراكهم في الشعائر الحسينية فإن التكيف يُشكل الوجه الآخر من التفاعل، وذلك التكيف سوف يقضي على درجة التفاوت بين المسلمين المشتركين في تلك الشعائر مع بعضهم، حتى لو كان ذلك الاختلاف ثقافياً أو اجتماعياً أو أيديولوجياً.

ويكون التكيف هو المحور الرئيسي لذوبان الطبقية في المجتمع حسب التوصيات الإسلامية القائلة (لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

مما جعل ذلك الطيف الاجتماعي الذي تختلف ألوانه أن يتعاشروا ويتجاللوا مع بعضهم وينسجموا مع بعضهم البعض ويعملوا من أجل تحقيق هدف عبادي واحد وهو إحياء الشعائر الحسينية مثل حضورهم في صلاة الجماعة والجمعة أو في الزيارات المخصصة تراهم مجتمعين متحابين متسامحين متعاونين ساعين في رضى الله تعالى ورضى نبيه وآله عليهم السلام موقع قناة العالم [HTTPS://WWW.ALALAM.IR/NEWS/3851086](https://www.alalam.ir/news/3851086).

ويمكن في الواقع أن نجد ثلاثة أشكال من العلاقات الاجتماعية القائمة على التكيف في أيام الأربعينية:

- علاقة المؤمنين مع بعضهم في المجالس والمآتم والمساجد والمواكب أثناء العزاء وبدونه.

- علاقة المؤمنين مع بعض الغير متدينين من الحضور أو أقل وعياً والتزاماً بمبادئ الإسلام وهذا واضح جداً وفيه يتم كسب كثير من هذه النماذج في المواكب الحسينية ومحاوله رفع مستواهم الثقافي العام وحركتهم الاجتماعية الفاعلة.

- علاقة المؤمنين مع المخالفين لهم في الفكر أو العقيدة وهذا واضح من اشتراك كثير من المخالفين لمذهب التشيع أو الدين الإسلامي كالأخوة المسيحية أو الصابئة أو السيخ والهندوس وبعض القوميات والأديان التي لها إطلاع على تاريخ ما جرى في كربلاء وقضية الإمام الحسين، وعن أحداث واقعة الطف وما دار فيها في مراسم أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام).

وهذا إن دل فإنه يكشف عن قوة الرابطة الاجتماعية لما تحمله الشعائر الحسينية في بناء المجتمع الإنساني والجانب الاجتماعي من وحدة التلاحم بين تلك الأطياف.

وبتلك السمات الرفيعة يرتقي الفرد المؤمن بالشعائر والممارس لها ويعرف فلسفتها وأثرها في بناء النفس الإنسانية في إشاعة مجتمع متأخٍ يجب الخير والسلام والأمان لكل البشر دون استثناء أحد أو فئة أو طائفة كلهم عيال الله ويعيشون تحت ظل خيره الوافر ويمكن أن ينتج من ذلك عدة أمور لها ارتباط على كافة الأصعدة الفردية والاجتماعية النفسية والسياسية والعقائدية تعمل ضمن منظومة واحدة تسمى القيم والمبادئ.

آثار التعايش السلمي في زيارة الأربعين

إنَّ التعايش السلمي وتقبل الآخر، هو سلوك إنساني لا يمكن التحدث عنه أو فصله عن القدرة الداخلية والروحية على التحكم بالذات، وقد طرح النبي محمد ﷺ وأهل بيته الأطهار، قيم العدل الاجتماعي وخطوطه العريضة ومبادئه على ثلاثة مستويات، في أولها قدّم لنا مبادئ ونظريات وقواعد يمكن أن يُبنى عليها المشرع الإسلامي - كما حدث فعلاً في صدر الإسلام - عمارات فقهية شاخنة في ميدان العدل الاجتماعي، مستمداً قدرته على العمل من روح هذه المبادئ والنظريات والقواعد، مهندساً اجتهاداته على وفق مساراتها واتجاهاتها. واستناداً إلى ما تقدم فإن الزيارة الأربعينية وما تحمله من أبعاد واتجاهات مختلفة أسهمت وبشكل كبير في تطبيق تلك المبادئ والقواعد والنظريات، وهناك فوائد عدة، يمكن للمتبع والباحث تسجيلها من خلال المسيرة المليونية التي تقع في كل عام للزيارة الأربعينية، استطعنا ملاحظتها من خلال المتابعة والمشاهدة والمعاينة، والتحليل الموضوعي، وهي تشير وتنم عن مظاهر التعايش السلمي والمجتمعي الذي يتمثل بتوجه الناس بمئات الآلاف بل بالملايين وبمختلف مذاهبهم وقومياتهم وجنسياتهم وألوانهم نحو مدينة كربلاء المقدسة، متحابين متعاونين متآلفين، لا فوارق بينهم (الزيادي وعودة، ٢٠٢٣، ص ٩٦).

إنَّ زيارة الأربعين هي عنوان للتعايش السلمي المجتمعي، فالناس على اختلاف جنسياتهم هدفهم الوصول إلى مكان واحد هو مدينة كربلاء المقدسة حيث ضريح الأمام الحسين (عليه السلام)، لا يُفرقهم شيء، وتذوب وتتلاشى عندها جميع الخلافات السياسية، والقومية، والحزبية، والمذهبية، وجميع الانتماءات، يعرفون أن هدفهم واحد هو التزود بالحب والتسامح، وفي هذه الزيارة الطيبة أنموذج حي ورائع وفريد هو الأكبر للتعاون،

وفي هذه التظاهرة المليونية تتحطم وتنتهي كل الحواجز بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، حتى أننا نرى من يتخاصم بالأمس، يُياشي من يتخاصم معه أثناء الزيارة معه (الزيادي وعودة، ٢٠٢٣، ص ٩٧) .

وليس من شك في إنَّ زيارة الأربعين هي زيارة إيمانية سامية، عقدية المضامين في كل قيمها النورانية، وكانت تمثل لكلِّ زائرٍ مؤمِّنٍ إفاضاتٍ إلهيةً عظيمة تعطيه زخماً عالياً في التزود بالإيمان والتوحيد، وهي مسألة مهمة يجب أن يتزود منها ويتحلى بها العبد المؤمن في وقتنا الحاضر، في ضوء ما يواجهه المسلم، وكل العباد، من تحدياتٍ تُريد النيلَ من إيمانِ العبدِ، وحرّفه عن وجهة ديننا الحنيف الدين المحمدي الأصيل، الذي لا لبس فيه ولا غموض، وهو دينُ الحق والإنسانية، لتصبح زيارة الأربعين هذه محطةً توقف مهمة للمؤمنين، ولاشك أن أهم محطات الدين الإسلامي الحنيف هو السلام والوئام وإشاعة المحبة والتعايش السلمي (الزيادي وعودة، ٢٠٢٣، ص ص ٩٦، ٩٧) .

وللزيارة الأربعينية أثراً في تحقيق التكافل الاجتماعي والالتقاء الحضاري والتلاقح الفكري، فضلاً عما تتضمنه من معاني روحية ونشاطات إيجابية ونفحات نورانية؛ والتلاقح الفكري والتواصل المعرفي أحد أهم الركائز، التي بُنيت عليها الحضارات الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها، وسبب أساس في التعايش السلمي، إضافة إلى ما توفر زيارة الأربعين من فرصة لالتقاء أبناء الحضارات المختلفة، زد على ذلك أنها تمثل نقطة تلاق بين أبناء المذهب الواحد أنفسهم، من شتى بقاع العالم، وبين مبادئهم الإنسانية، التي تم اختصارها بنقطة تدعى طف كربلاء.

إن الطاقة الروحية، التي تدفع الناس لزيارة الأربعين، والسير على الأقدام أياماً وليالي عديدة يمكن أن تدفعهم لنشاطات إيجابية أخرى، تتمثل في تقبل الآخر، والتعايش معه، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة.

ويمكن القول إنَّ التطَّوع من أجل الخير، يُعد من أهم ركائز السلام والتعايش بين المجتمعات، وهذا ما تکرَّسه زيارة الأربعين، فهذه الشعيرة تجسد مفهومين في غاية الأهمية، هما فعل الخير، والتطوع من أجل الصالح العام، والإيمان بقضية عادلة، ونموذج إنساني في غاية القدسية، إذ إن فكرة العمل التطوعي، قد أسهمت في بناء الكثير من الدول الحديثة، وتقدمها، فما أحوَج بلداننا إلى تفعيل هذه الثقافة. وزيارة الأربعين بها لها من خلفية دينية عاطفية فكرية، تملك من الحركية والباعثية على العمل التطوعي، قدراً يفوق كل الإمكانيات المؤسساتية العالمية في هذا المجال، فعلى مدى آلاف الكيلو مترات، ومن جميع الاتجاهات المؤدية إلى كربلاء، عدة من أيام، تجذب الكبير والصغير والشبية والشباب، الرجال والنساء في حركة متواصلة، يبذلون جهوداً جبارة، وأموالاً طائلة عن قناعة وإخلاصٍ دون أدنى تذمر أو إحباط، ودون أي أجر مادي دنيوي في مقابل ما يبذلونه من أموالٍ وجهود، وهو بلا شك يُشكل قيمة دينية كبيرة تتجلى فيها مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف ومظاهر التعايش السلمي الذي يدعو إليه (الزيادي وعودة، ٢٠٢٣، ص ص ٩٨، ٩٩).

الزيارة الأربعينية وأثرها في تجسيد القيم الأخلاقية

في كل عام يتزايد اعداد المواكب العربية والاجنبية التي شاركت في الزيارة الأربعينية، حسبما ذكرته السلطات المحلية في كربلاء ان اعداد الزائرين الذين دخلوا مدينة كربلاء المقدسة لإحياء ذكرى أربعينته بلغ نحو حوالي ثمانية ملايين زائر، وهذه واحدة من الملامح الايجابية لهذا التجمع الديني الكبير، هذا ما اكد عليه الإمام الصادق عليه السلام له في احدى خطبه: ((ان الرجل ليخرج الى قبر الحسين فله اذا خرج اهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لم يزل يقدر بكل خطوة حتى يأتيه، فاذا اتاه نجاه الله تعالى فقال: عبدي سلني اعطك، دعني اجبك اطلب مني سلني حاجة اقضها لك، وقال ابو عبد الله و حقُّ على الله ان

يعطي ما بذل))، كما قال الإمام موسى بن جعفر: ((ادنى ما يُثاب به زائر الحسين عليه السلام بشطّ الفرات، إذا عَرَفَ بحقه وحرّمته وولايته، أن يُعَفَّرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأخَّر)) (القرزويني، ١٩٩٢، ص ٣٤-٤٠).

وفي كلِّ عامٍ نجد ان الملايين من اتباع اهل البيت ومحبيهم من داخل العراق وخارجه يتوافدون لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وسامراء والكاظمية، ومناطق اخرى فيها عدد من الاضرحة لأهل البيت عليهم السلام، وهذه الزيارات لها دلالات كثيرة منها عقديّة وثقافية واجتماعية وسياسية، وهي من أهم الشعائر الدالة على الهوية الشيعية، فمنذ الإمام زين العابدين عليه السلام كان الائمة يحثون شيعتهم على زيارة قبر الإمام الحسين، فهي دعوة تحمل ملامح فكرية وسياسية وثورية واضحة اضافة الى ما تحمله من بُعد ديني، فكانت زيارة الإمام الحسين، عنوان الولاء لأهل البيت واحقيتهم، ومعارضة لمن سار على غير نهجهم في استهدافهم أهل البيت، الذين يمثلون القيادة الحقيقية للامة الإسلامية، لقد ادت زيارة الأربعين منذ انبثاقها وحتى الآن وستؤدي ذلك في المستقبل وظيفتها الاساسية، وهي المحافظة على التواصل وتجديد العهد بين المسلمين والشيعية منهم على وجه الخصوص والإمام الحسين، كما إنّ لزيارة الأربعين دور مهم في تحريك الجماهير للأهداف السامية التي سعى الى تحقيقها الإمام الحسين وثار من اجلها وهي قيم الايمان والحرية والعدالة والانسانية، فالزيارة عملاً ثقافياً توجيهاً وتوعوياً لإرشاد الناس واستثمار العواطف الجياشة لتعريفهم بكل تلك القيم الحقّة. (الصمباني ٢٠١٥، ص ١٦ - ١٩؛ المقرم؛ ١٩٧٩، ص ٦٩؛ مناف، ٢٠٢٣، ص ٢٨٧).

كان ولايزال العراقيون والمسلمون من شتى بلدان العالم، يأتون سيراً على الأقدام نحو كربلاء في ذكرى زيارة الحسين في اليوم الأربعين لاستشهاده، حتى ان المدن العراقية

تكاد تخلو من سكانها وكأن العراقيون هجروا مدنهم وتركوا مساكنهم، حشود مليونية تلقائية الحركة عفوية العواطف متفجرة الحماس ومتجشمة عناء الطريق ومخاطره إنها ظاهرة اجتماعية وسياسية جديدة بالدراسة والتأمل (المدرسي، ٢٠٠١، ص ١٣٧-١٣٩؛ مناف، ٢٠٢٣، ص ٢٨٦-٢٨٧).

إن زيارة الأربعين هي عنوان التعايش السلمي والتسامح المجتمعي، فالناس بمختلف جنسياتهم يتجهون نحو مكان واحد الى كربلاء المقدسة لا تفرق بينهم الخلافات السياسية ولا القومية يعرفون ان هدفهم الاكبر هوري الارواح بالحب والتسامح بينهم، في زيارة الاربعين نموذج حي للتعاون وفيه تكسر كل الحواجز بين الطبقات الاجتماعية تجذ الاستاذ الجامعي يوزع الماء مع طفل الصغير والشيخ العجوز مع الشباب كلهم يتسابقون على تقديم الخدمة للزوار وغير الزوار وعلى طول شهري محرم وصفر تطرق ابواب البيوت لتقديم الطعام المجاني تعبيراً عن حب الحسين والتزاماً بنهجة الذي اراد بثورته اعادة الأمة الى مسارها الصحيح، فهذه الممارسات والتقاليد الاجتماعية التي نراها في هذه المدة الزمنية القصيرة تشد المجتمع الى بعضه وترتقي به الى حيث الاهداف والقيم السامية للدين الاسلامي (مطروود، المجلد ٢٣، العدد ٤، ٢٠١٥، ٤؛ الزيايدي وعودة، ٢٠٢٣، ص ٩٦).

إن الجموع الكبيرة التي تشارك في الزيارة الأربعينية تهدف إلى ابراز الولاء للإمام الحسين (عليه السلام)، والتزام مبادئه الشريفة، وقيمه السامية، التي استشهد في الدفاع عنها. إن الزائرين وأهالي مواكب الخدمة يتمتعون بأخلاق عالية جداً في التواضع وخدمة الزائرين والتعامل الأياني مع الجميع وكذلك الأخوات في المضائف يتعاملن مع الأخوات الزائرات تعامل في منتهى الأخلاق والروعة، ومن ثوابت التنمية الأخلاقية:-

يمكن ترويض النفس الإنسانية وتنميتها على الأخلاق من خلال التربية والتنمية.

تتداخل الأخلاق مع جوانب ونشاطات الحياة كافة، لأنها تمثل الميدان التمهيدي لكل نوع من أنواع التنمية البشرية، فهي المورد الأصل لها.

إن التجديد الأخلاقي ليس عبارة عن نسخ لأخلاق وإحلال لأخلاق أخرى، وإنما هو توسيع مدلولات المفاهيم الأخلاقية وبلورتها (الكمالي، ١٤٣٥هـ، ص ٣٤٧-٣٤٩؛ التميمي والشمري، ٢٠٢٣، ص ١٢٧).

إن الحركة الروحية والأخلاقية التنموية التي يصورها القرآن الكريم تعد جزءاً من العقائد والأحكام التي تسعى لبناء الإنسان وتطويره بغية انتشاله من وحل الجهل والظلام والانحراف والتخلف والارتقاء به ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الاسراء: ٥٣)، وهكذا نجد أن القرآن الكريم ينظر إلى ضرورة تنمية الجانب الأخلاقي وذلك بترويض النفس الإنسانية امتثالاً لشريعة الله المقدسة، لأن عملية التنمية تدخل في ضبط سلوك الفرد والمجتمع وضبط المنظومة الاجتماعية (الكمالي، ١٤٣٥هـ، ص ٣٥٨؛ التميمي والشمري، ٢٠٢٣، ص ١٢٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن العراق يتشرف ويفرد باحتضان حدث عالمي هو زيارة الأربعين المباركة، وتعد الزيارة الأربعينية للإمام الحسين أكبر تجمع من الناس في العالم حيث يتلاقى لأداء الزيارة المسلمون وغيرهم من الديانات الأخرى من عدة بلدان، ويؤدي ملايين عديدة كل عام مراسيم الزيارة مشياً على الأقدام، ولم تشهد المجتمعات الأرضية (لا قديماً ولا حديثاً) حدثاً يُعنى بإحياء (مكارم الأخلاق والقيم الإنسانية الأصيلة من خلال تجسيدها فعلياً وممارستها طوعاً وعتواً أياماً متتالية وباستمرار وتنوع مثير ومذهل، ويمكن القول بأن أهم حصانة ومناعة تحمي الإنسان فرداً ومجتمعاً هي المنظومة الأخلاقية، فالمجتمع بإزاء أسطورة أخلاقية ترسمها الملايين من المشتركين في

ممارسة زيارة الأربعين المباركة (الساعدي، ٢٠١٧، ص ص ٤٧-٤٩ التميمي والشمري، ٢٠٢٣، ص ١٢٩).

وتعد القيم الإنسانية والضمير الإنساني الأساس الثالث لحركة الإمام الحسين بعد القرآن الكريم وسنة جده النبي محمد ﷺ وهو في الأخلاق المواجهة عند الإمام الحسين وهذا الأساس أوسع وأشمل من الدين، وله طابع عام يشمل غير المسلمين، والذين ليس لهم دين، لأن الإنسان لإنسانيته في مدرسة الإمام الحسين وعليه أن لا يرضخ للظلم والإذلال، ولذلك فإن من يؤمن بالقيم الأخلاقية في الحرب والمواجهة، عليه مراعاة هذه القيم. ويؤكد (الأصفهاني، ٢٠١٥، ص ص ٢٤٠، ٢١٥) أن أهم الأصول الأخلاقية التي يمكن استخراجها من واقع سيرة الإمام الحسين الجهادية هي المواجهة القائمة على المبادئ، والمشورة، والتزام العهود والمواثيق، والثورة مع مراعاة الظروف الأمنية، والشفافية، والحزم وعدم اليأس، وسلامة المناضلين، والاستنصار، ورفض مقولة الغاية تسوغ الوسيلة، وجمع المعلومات، والتبصر في الأمور، وتكريم الأنصار وتشجيعهم، وتعبئة الرأي العام، والتغيير على أساس رأي الشعب، والنضال عبادة كسائر العبادات.

آثار زيارة الأربعين في زرع القيم العليا في أتباع أهل البيت

احتوى القرآن الكريم على قيم عليا أكد عليها كثيراً في آياته، فالتوحيد قيمة عليا وأصل ثابت والأمن والعدل والحرية، ورعاية حقوق الضعفاء وحقوقهم المعنوية، كحقوقهم في الاحترام والتوقير، وحرية التفكير والتعبير العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وكذلك أعطى الأئمة الأطهار لتوجهات القرآن الكريم وأقوال النبي ﷺ وأفعاله الفكرية والتربوية روحاً جديدة، وزخماً قوياً عندما أُلقيت على عواتقهم وظيفة النهوض الحضاري بالأمة في جميع المجالات، وكذلك الحال في زيارة الأربعين وآثارها الدالة لأعلى قيم الحب

والولاء والإتباع فنجدها في هذه الزيارة كما وصفها جابر (حبيب لا يجيب حبيه).

فعن عطية العوفي قال خرجت مع جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه زائراً قبر الحسين فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم أتزر بازار وارتدى بأخر ثم فتح صرة فيها سعد فشرها على بدنه ثم لم يخط خطوة الا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال المسنيه فألمسته اياه فخرَّ على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فلما افاق قال يا حسين ثلاثاً ثم قال حبيب لا يجيب حبيه ثم قال وأنى لك بالجواب وقد شخبت اوداجك على اثباجك وفرق بين بدنك ورأسك اشهد انك ابن خير النبيين وأبن سيد المؤمنين وأبن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس اصحاب الكسا وأبن سيد النقبا وأبن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذت كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الايمان، وفطمت بالإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير ان قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك ولا شاكة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه واشهد انك مضيت على ما مضى عليه اخوك يحيى بن زكريا... والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركنا كم فيما دخلتم فيه قال عطية: فقلت الجابر: فكيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤسهم وابدانهم وأومت أولادهم وارملت الازواج (حسون، ٢٠٢٢، ص ٢٣٣-٢٣٤).

فقال لي يا عطية: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من احب قوماً حُشر معهم ومن أحب عمل قوم اشرك في عملهم والذي بعث محمداً بالحق أن نيتي ونية أصحابي على ماضي عليه الحسين واصحابه) (حسون، ٢٠٢٢، ص ٢٣٤).

ذلك العمل العظيم المنزلة والمقام وذاك العشق للشهادة الذي بان ليلة العاشر من محرم حيث العيون الخشع السُّجد الرُّكع في ثلث الليل الآخر، وهم ما بين راعع وساجد

ومناج لربه فاستعانوا بالصبر والصلاة وفي ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥) .

ثم يسلموا تسليماً ترجم له في أرواح الأجيال اللاحقة وقلوبهم فعاشوا العشق نفسه وتاهوا في الأنوار الحسينية والشهادة العاشورائية، فمن أراد أن يعلم حب أهل البيت فليمتحن قلبه، فان شارك في حبنا عدونا فليس منا ولسنا منه والله عدوه وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين) (حسون، ٢٠٢٢، ص ٢٣٥) .

وقال الأمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : ((لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان إن الله عز وجل يقول: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) (الأحزاب: ٤) .

فهكذا السائرون لكربلاء الفداء نجد الحب والاتباع في المواكب والهيئات في استلام الوصايا والتعاليم، والتنظيم الرائع الذي تعجز عنه دول ومنظمات في تحمل تبعات الملايين من الوافدين لزيارة الأربعين ، ولولا اتباعهم لتعاليم قلوبهم العاشقة وأرواحهم الطاهرة لما وصلوا إلى هذا الحد من الكمال والانتظام، وجميع ذلك يصدر من دون أوامر وتوجيه، بل نابع من حبهم الشديد، وفناءهم العميق في الحسين، وقال الجزائري في الحب أنه العشق) هو الافراط في المحبة، واشتقاقه من العشقة وهي نبت يلتف على الشجرة من أصلها إلى فرعها فهو محيط بها كما أن العشق محيط بمجامع القلب) (حسون، ٢٠٢٢، ص ٢٣٥) .

ولذا قالوا: وكم من عاشق أتلّف في معشوقه ماله، وعرضه، ونفسه، وصيّع أهله، ومصالح دينه وديناه) (حسون، ٢٠٢٢، ص ٢٣٦) .

وكم عاشق عف وصبر، وقد طال لشخص عشقه الجارية من قومه، فقالوا له: ما أنت صانع إن ظفرت بها ولا يراكما إلا الله قال والله لا جعلته أهون الناظرين لا أفعل بها

خالياً إلا ما أفعله بحضرة أهلها حين طويل ولحظ من بعيد وأترك ما يكره الرب ويفسد الحب) (ديوان الصبابة: ١٩٩٧، ص ٨٩).

وهكذا عشاق الحسين لا يفعلون الا ما هو في مرضاة الله، وهم يقطعون الاف الكيلومترات ولا يهابون الخوف والتعب والبرد والحر حبا وشوقا للتواجد عند الحسين يوم الأربعاء، فالمقياس النبوي الدقيق لمعرفة حقيقة الإيـان إذن هو حب أهل البيت والتزام طاعتهم، والتبري من أعدائهم، وهذا يتحقق في زيارة الحسين يوم الأربعاء.

ويمكن تصوير الإيـان والكفر بميزان ذي كفتين كفة بيضاء نقية تشتمل على حب أهل البيت وهي كفة الإيـان الصادق، وأخرى سوداء مظلمة من بغضهم وهي ليس إلا الكفر والنفاق والمروق من الدين، والأولى متحققة في عشاق الحسين وزوارهم وخدام المواكب والاعلاميين الشرفاء والمشاة والسائرين والمتبرعين والمحامين وكل من شارك ولو بمنديل، والكفة الثانية متمثلة بالطغاة وأصحاب العبوات والانتحاريين والاعلام الخادع والمزيف والكاذب في نقل الحقائق، وكل عدو لآل البيت يغیظه هذا الكم الهائل من محبي الحسين وعاشقي يوم الأربعاء.

وعليه لابد من التوجيه في الزيارة الأربعينية على القيم الدينية الروحية والدروس التي ترفع من هذه المناسبة العظيمة، والتركيز على العبرة والخطاب الفكري العقائدي منظمًا إلى العبرة والخطاب التعبوي المؤثر وهو يعرض الجانب المأساوي لواقعة الطف ومعاناة عيال الحسين في رحلتهم الأربعينية من كربلاء إلى الكوفة فالشام فكربلاء مجدداً لتجديد الولاء والصبر الزينبي ومعاناتهم في هذا السفر الدامي، ومن ذلك أيضاً هيجان العاطفة والحب الحسيني والعاطفة التي تبرز وتنمو خلال السير نحو كربلاء ماشياً على الأقدام صوب ضريح بطل الأحرار(حسون، ٢٠٢٢، ص ٢٣٥-٢٣٦).

الدروس والعبر الدينية والأنسانية المستقاة من زيارة الأربعين وأثرها في مواجهة التحديات الراهنة :

لم تكن حادثة الطف حدثاً تاريخياً عابراً سطرت وقائعه صفحات الزمن وأسطره، ولم تكن أرض كربلاء بقعة مكانية محددة في جغرافية البلدان، ولم يكن الحسين عليه السلام شخصاً يبحث عن سلطة وقيادة وحكم دنيوي، وإنما كان التاريخ والمكان والشخص جميعها خاضعة لإرادة إلهية. ومن هنا كسبت سر وجودها وبقائها وخلودها.

ولعل هذا ما يفسر لنا هذا الأهتمام وهذه الخصوصية لإحياء شعيرة زيارة الأربعين على مدى التاريخ، ذلك أنها تعد من الشعائر المقدسة ، التي جاءت نتيجة الصدق في العمل والغاية التي من أجلها خرج الامام الحسين في عاشوراء كربلاء وهو الاصلاح في أمة جده النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (جواد ومحسن، ٢٠١٩، ص ٤٥) .

ومن هنا نالت هذه الزيارة الثواب العظيم والاجر الكبير والمنزلة الرفيعة لما تضمنتها من دروس وعبر، شملت القيم الدينية والابعاد المادية والروحية، نذكر منها:

تجديد العهد لسيد الشهداء :

ان ما تشهده مدينة كربلاء من توافد الاعداد الكبيرة من الزائرين لأداء مراسم زيارة الاربعين ما هي إلا مسيرات تأييد وتضامن هدفها تأكيد الولاء للمسيرة الحسينية الخالدة وتذكير النفوس بالمبادئ والقيم التي من اجلها استشهد الامام الحسين، فكانت زيارة الاربعين تعبيراً صادقاً لاستذكار هذه التضحيات والسير على الدرب الذي عبده لهم سيد الشهداء بدمائه الزكية.

وهذا البعد سبق وأن أشار إليه الامام جعفر بن محمد الصادق عندما قال في الدعاء

لهم: ((اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليها الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد ﷺ، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك فكافهم عنا بالرضوان)) (المجلسي، د، ت، ج ٢، ص ١٥٣).

فالإمام في الوقت الذي يدعوفيه لزوار أبي عبد الله الحسين بالمغفرة لما بذلوه في إحياء زيارة الأربعين والتمسك بها لأثرها في التمسك بعتره أهل البيت وإدخال السرور على قلب الرسول محمد ﷺ، نراه يشير إلى ابعادها الأخرى من إخافة الظالمين وغيظهم، وهذا ما نشهده في كل زيارة أربعينية وكل موسم عاشورائي إذ نجد التحدي والصمود ضد الظالمين والطغاة من خلال إزدياد عدد الزائرين الذين يقدمون الأموال والأرواح من أجل نصرة قضية سيد الشهداء مُتحدّين بذلك كل قوى الكفر سائرين بذلك على نهج الرسالة المحمدية (جواد ومحسن، ٢٠١٩، ص ٤٦).

تذكير النفوس بالتعاليم الإسلامية :

تُعد زيارة الأربعين ركيزة أساسية من ركائز التمسك بالتعاليم الإسلامية، فأهل البيت (عليهم السلام) هم السبيل المؤدي إلى الدين الإسلامي وهم الترجمان الحقيقي للإسلام قولاً وعملاً، وهذا ما نقرأه في الزيارة الجامعة للأئمة (عليهم السلام) وَمَنْ تَخَلَّى مِنْهُمْ فَقَدْ تَخَلَّى مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ((القمي، ٢٠٠٣، ص ٤٩٣، ٤٦٢)).

فهم السبل السالكة والطريق المؤدي إلى معرفة الله عزّ وجل، وهذا ما سبق أن أشار إليه الامام جعفر الصادق في حديثه مع معاوية بن وهب، عندما قال: ((أرادوا بذلك رضوانك فكافهم عنا بالرضوان)) (المجلسي، د، ت، ج ٨٩، ص ٨-٩). ومعلوم ان محبة

أهل البيت واتباع نهجهم والسير على خطاهم هو الطريق المؤدي إلى توحيد الله ومعرفته، فهم مدرسة - أهل البيت - يمثلون التوحيد وان الطريق الذي يؤدي إلى معرفة الله والاقرار بوحدانيته والتمسك بعبوديته إنما يمر عبر اتباع نهج مدرسة أهل البيت التي رسم معالمها ووضح نهجها الامام الحسين في نهضته وفي استشهاده وان تخليد زيارة الاربعين إنما هو السبيل للتمسك والسير إلى الله ف(مَنْ عرفهم فقد عرف الله وَمَنْ جهلهم فقد جهل الله) (جواد ومحسن، ٢٠١٩، ص ٤٧).

مناسبة لتعزيز وحدة الامة :

إن إحياء شعيرة زيارة الأربعين للإمام الحسين إنما هي مناسبة لتعزيز وحدة الامة الاسلامية، بكل طوائفها ومذاهبها، ذلك ان قضية الامام الحسين ونهضته وثورته لم تكن لفئة معينة أو طائفة محددة وإنما كانت لأهداف اسلامية عامة، وإن مشروعه إنما هو مشروع أمة بأكملها ألا وهو (إصلاح الأمة الاسلامية) وهذا ما صرح به في قوله: ((أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، اريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)) (المجلسي، د، ت، ج ٤٤، ص ٣٣٠).

ومن هنا كانت زيارة الأربعين تمثل درساً من دروس الصلاح والإصلاح، وان هذا السير الكربلائي المقدس في هذه المناسبة إنما هو من أجل النصح والارشاد والاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي تمثل تحصيناً للنفس من الوقوع في الضلال وذلك من خلال الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يؤدي إلى فساد الامة وانحراف المجتمع. وهذا ما تسعى إليه قوى الكفر والضلال من أجل هدم الامة الاسلامية واضعافها من خلال

اشاعة مظاهر الفساد فيها بشكل أو بآخر وكذلك من خلال الطعن والتشكيك في المبادئ التي من أجلها استشهد سيد شباب أهل الجنة، موظفة من اجل تحقيق اهدافها كل ما أوتيت من امكانيات مادية وإعلامية من أجله، وهذا ما نستطيع أن نتلمسه من بعض وسائل الاعلام والفضائيات التي تحاول أن تبث روح التفرقة المذهبية والطائفية بين أبناء المجتمع الواحد، غير أن اتباع مدرسة أهل البيت ومحبيهم والسائرين على نهجهم لم ينههم ذلك عن الالتحاق بالزحف الحسيني المقدس في زيارة الأربعين، وربما هذا ما سبق أن أشار إليه الامام الصادق عندما قال: ((اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ذلك ينههم ذلك عن النهوض والشخص إننا خلافاً عليهم)) (المجلسي، د،ت، ج، ٨٩، ٨) .

تجديد معاني التضحية والفداء :

لعل من أبرز الدروس والعبر المستمدة من زيارة الأربعين هو تجديد العهد بالسير على خطى الامام الحسين والتضحية بالغالي والنفيس من أجل المبادئ والقيم الرسالية التي جاء بها النبي محمد ﷺ ، وضحى من أجلها الإمام. والمتتبع لتاريخ زيارة الاربعين منذ وصول سبايا أهل البيت ولقائهم بجابر بن عبد الله الانصاري في العشرين من صفر عام ٦١ هـ ، والى يومنا هذا يلحظ كيف ان الولاة من الطغاة والظالمين حاولوا أن يمنعوا اقامة هذه الشعيرة ادراكاً منهم لما تحمله من مضامين وما تبعته في النفوس من رفض لكل أشكال الظلم والقهر الانساني وخوفاً من زيارته ﷺ لأنه يمثل الجذوة والقبس الذي يشعل الثورة ضد هؤلاء الطغاة على مر التاريخ إلى يومنا هذا حيث التفجير والتفخيخ والقتل والارهاب وغيرها من مظاهر العنف من أجل اضعاف هذه المسيرة المليونية وهذه الشعيرة المقدسة.

لقد تناسى هؤلاء الطغاة ان هذه الزيارة هي تحت عين البارئ عز وجل وفي رعايته،

وهذا ما رسمه لنا حديث الامام الصادق (عليه السلام) عن شيعة الحسين ومحبيه، ((فكافهم عنا بالرضوان، واكلاهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحابهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم)) في إشارة منه إلى أن زوار الامام الحسين في يوم الأربعين تحدوا الموت في خروجهم، وهذه هي ملامح مدرسة أهل البيت، وهذه هي تربية الامام الحسين (عليه السلام) (جواد ومحسن، ٢٠١٩، ص ٤٨).

التمسك بالمبادئ والقيم الثورية النبيلة :

ان التمسك بإحياء زيارة الأربعين في الوقت الذي يلهب في النفوس حب التضحية والفداء فانه في الوقت ذاته يُذكر بالمبادئ والقيم الثورية النبيلة التي تبعث الانسان إلى التضحية من أجلها، وهذا ما تجسده زيارة الأربعين فهي محطة استذكار وتجديد عهد بالمبادئ والقيم الخلقية التي يجب أن يتمتع بها اتباع مدرسة أهل البيت وكذلك التذكير بالمبادئ والقيم الثورية النبيلة. على ان هذا لا يعني أن هذه القيم الخلقية والمبادئ الثورية تظهر فقط في الزيارة الاربعينية لسيد الشهداء، وإنما نعني بها ان هذه الزيارة هي محطة تجديد عهد و ولاء للمسيرة الحسينية الخالدة. ذلك ان الدنيا بمغرياتها تحاول أن تبعد الانسان - في معظم الاحيان- عن نفسه ومبادئه وقيمه، وأن تجعله عبداً لرغباته ونزواته وشهواته الدنيوية، فتأتي مناسبة زيارة الاربعين كل سنة لتجدد تمسك الانسان بالقيم والمبادئ والابتعاد عن الانحراف الذي قد يقع فيه نتيجة الانغماس في مظاهر الحياة الدنيوية. وهذا ما نشاهده اليوم في شبابنا المجاهد فقد وظفوا كل طاقاتهم الشبابية وامكاناتهم الجسدية من

اجل الحفاظ على ارض البلد من أي اعتداء تعرض له، وخدمة للدين والمذهب الحسيني الذي تربوا ونشأوا عليه، لقد ترك هؤلاء الشباب الأبطال نعيم الحياة الدنيوية ومغرياتها من اجل الحفاظ على الدين الاسلامي ومن اجل الحفاظ على المقدسات الاسلامية كما فعل قائدهم ومعلمهم الامام الحسين من قبل.

لقد كانت ملحمة الأربعين رافداً معطاء بكل معاني التضحية والايثار من اجل الحفاظ على المبادئ والقيم الرسالية النبيلة نهل منه جميع محبي أهل البيت في كل أرجاء الأرض، وليس بغريب أن ينالوا شرف دعاء المعصوم لهم، وكأنه ينظر الى صورهم ويطلع وجوههم التي احرقتها اشعة الشمس متخطين بذلك كل العقبات والصعوبات من اجل تحقيق الأهداف التي جاهد من أجلها صاحب الذكرى العطرة ، حيث نقرأ قوله: ((فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا)) على مر التاريخ والأزمان تصيح (يا حسين) صرخة مدوية يمتد صداها إلى آخر الدنيا، وكأن الامام أراد من شيعته ومحبيه أن يصرخوا بملء وجودهم وأن يرفعوا رايات الحسين هيهات منا الذلة وليك يا حسين حتى ظهور مولانا الامام القائم المنتظر (جواد ومحسن، ٢٠١٩، ص ص ٤٨-٤٩).

وهذا ما نشاهده اليوم في ساحات الدفاع عن أرض الوطن، حيث رايات الحسين ترفرف خفاقة في كل ناحية وفي كل موضع وقف فيه أبناء الامام الحسين، وما هذا الصمود وما هذه التضحية وما هذا الايثار في الحفاظ على القيم والمبادئ إلا ثمرة من ثمار زيارة الأربعين، ودرساً من دروسها. فلا عجب بعد ذلك ان تشملهم العناية الإلهية وتحيط بهم الدعوات ليس في الأرض فقط من قبل الأئمة وإنما الملائكة أيضاً تدعو لهم في السماء، وهذا

نص حديث الامام معاوية بن وهب يؤكد ذلك: ((فقال: يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوف من أحد)). فهنيئاً لمن نال شرف زيارة الامام الحسين في الأربعين، وهنيئاً لمن تمسك بالقيم والمبادئ التي خطها الامام الحسين، وهنيئاً لمن شمله الالتحاق بمدرسة أهل البيت وركب سفينة النجاة (المجلسي، د، ج ٨٩، ص ٨).

الخاتمة :

وفيها يمكن أن نُسطر أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وعلى النحو التالي :

١. تُعد الزيارة الأربعينية تجسيداً حياً للقيم والمبادئ الدينية والأنسانية التي استشهد من أجلها الأمام الحسين سلام الله عليه .
٢. تعد الزيارة الأربعينية أكبر تجمع بشري عفوي في العالم لترسيخ القيم الأخلاقية وتحقيق مبدأ التعايش السلمي بين جميع المكونات على الرغم من الاختلاف بين الثقافات.
٣. أوضحت الدراسة الدلالات والآثار الأخلاقية والروحية والفكرية لزيارة الأربعين وهي تبرز جانباً من تجليات عظمة الأمام الحسين (عليه السلام) ومكانته وفضله والقيم الدينية والأنسانية التي ضحّى بنفسه من أجلها .

التوصيات

أستغلال حالة التعايش السلمي التي تشهدها زيارة اربعينية الأمام الحسين (عليه السلام) من العراق وبقية بلدان العالم العربي والأسلامي من أجل توطيد العلاقات الايجابية بين أبناء تلك البلدان ونبذ حالة التفرقة والصراعات ، فضلاً عن تضمين المناهج الدراسية القيم الدينية والفكرية والروحية التي تعززها زيارة اربعينية الأمام والتعرف على مواقف أهل البيت الجهادية .

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- التميمي والشمري، تأثير الزيارة الأربعينية للأمام الحسين (عليه السلام) في تنمية القيم الأخلاقية وتحقيق الاستدامة البيئية، مجلة الأربعين، المجلد الثاني، العدد الأول، السنة الأولى، شعبان ١٤٤٥هـ / آذار ٢٠٢٤م .
- جواد ومحسن، انوار سعيد وبشرى حنون، زيارة الأربعين - قراءة في الأبعاد الروحية والثورية، مجلة السبط، السنة الخامسة، المجلد الخامس، العدد الثاني، الجزء الأول، محرم ١٤٤١هـ / ايلول ٢٠١٩م .
- ابن ابي حجلة، شهاب الدين احمد، المغربي، ديوان الصبابة، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٧م .
- حسون، سلام رزاق، الإنابة والفناء في القيم الروحية السامية لزيارة الأربعين، مجلة الأربعين، المجلد الأول، العدد الأول، السنة الأولى، ٢٠٢٢م .
- الزيايدي وعودة، حسين عليوي ناصر و خالد كاظم، دور زيارة الأربعين في نشر ثقافة السلام والتعايش السلمي، عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي السادس لزيارة الأربعين، الجزء الأول، ٢٠٢٢م .
- الصمباني، حيدر، الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين (عليه السلام)، الطبعة الأولى، كربلاء، ٢٠١٥م .
- القمي، عباس، مفاتيح الجنان، الطبعة الأولى، بيروت، دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٣م .
- القزويني، محمد كاظم، فاجعة الطف، الطبعة العاشرة، د،م، ١٩٩٢م .

- المدرسي، محمد تقي، الإمام الحسين قدوة الصديقين، الطبعة الأولى، طهران، ٢٠٠١ م.
- المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين (عليه السلام)، تقديم: محمد حسين المقرم، الطبعة الخامسة، لبنان، دار الكتاب الاسلامي، ١٩٧٩ م.
- مناف، رغد جمال، الزيارة الأربعينية وأثرها في القيم الأخلاقية، مجلة الأربعين، المجلد الأول، العدد الأول، السنة الأولى، ٢٠٢٢ م.
- مطرود، احمد جاسم، دور المؤسسة الإعلامية في نشر ثقافة التسامح - دراسة تحليلية، مجلة جامعة بابل للعلوم الأنسانية، المجلد ٢٣، العدد الرابع، ٢٠١٥.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، دار صادر، د.ت.
- (موقع قناة العالم <https://www.alalam.ir/news/3851086>) .